**تفسير الآيات من [97 – 102]، الدعوة للهجرة في سبيل الله**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *محمد سعد حسن*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***mohamad.saad@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى الدعوة للهجرة في سبيل الله**

**الكلمات المفتاحية – توفاهم، الملائكه، للهجره**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الدعوة للهجرة في سبيل الله**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة، وأسباب النزول، والمعنى العام للآيات:**

**قال تعالى: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ} [النساء: 97- 100].**

**أ. وجه المناسبة:**

**فلنبدأ -على بركة الله- بأن الله  لما ذكر ثواب من أقدم على الجهاد أتبعه بعقاب من قعد عنه ورضي بالسكون في دار الكفر فقال: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} الآيات، هكذا ربط الإمام الفخر الرازى بين هذه الآيات وما سبقها.**

**ب. أسباب النزول:**

**وفي سبب النزول يُروى عن ابن عباس أنه قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم. قال المسلمون: كان أصحابنا مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} الآية؛ فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم التقية، فنزلت هذه الآية: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ} [البقرة: 8] الآية.**

**ج. المعنى العام:**

**يقول الله : إن الذين تتوفاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم حين لم يهاجروا إلى رسول الله  فلما يُسألون: فيما كنتم وأنتم مقيمون في بلاد الكفر لا تهربون منهم، ولا تهاجرون إلى أهل الإسلام لتكونوا عونًا لهم؟ يعتذرون عن ذلك بأنهم كانوا مستضعفين في المكان الذي كانوا فيه، فيقولون لهم: هذا الاستضعاف الذي أحسستم به إنما هو مجرد وهم؛ لأن أرض الله واسعة، وكان يمكن أن تهاجروا في هذه الأرض، وأمثال هؤلاء الناس الذين بعدوا في الضلالة والغواية والاستضعاف مأواهم -بلا شك- جهنم، وبئس هذا المصير! لكن الله  يعذر المستضعفين حقًّا، سواء كانوا من الرجال أو النساء، أو العبيد أو الأطفال، هؤلاء الذين ليست لهم حيلة على الإطلاق، ولا يجدون وسيلة يستطيعون بها الإفلات من قبضة أهل الكفر، فأمثال هؤلاء ربما يكونون في محل العفو، والله  العفو الكريم الغفور الرحيم سيتجاوز عنهم؛ نظرًا لضعفهم وعدم قدرتهم. ولا بد أن يدرك من يخرج مهاجرا لله وفي سبيله أن الله  ييسر له الأمر، وهو يفعل عملًا ويقوم بمهمة يُرغم بها أعداء الله  وينتصر عليهم بخروجه هذا، وسوف يجد في أرض الله رزقًا واسعًا ربما كان أفضل من المكان الذي وجد أنه فيه رزقه وفيه سعادته وفيه خيره، لكن أرض الله الواسعة مليئة بهذه الخيرات التي يجود الله بها على من خرج مهاجرا في سبيله.**

**وهناك أمر آخر: وهو هذا الذي عقد النية على الهجرة وخرج من بيته فلم يصل إلى غايته وعاجلته منيته في طريقه، هذا قد نال شرف الهجرة ونال أجره، وكان الله غفورًا لأمثال هؤلاء، رحيمًا بهم حيث قبلهم ولم يعذبهم على تأخرهم في الخروج من هذه الديار الكافرة.**

**ثانيًا: الدعوة للهجرة في سبيل الله، وما جاء في تركها من ترهيب:**

**فإذا ما عدنا إلى الآيات نحاول أن نقتبس من نور الله فيها ما يضيء لنا الطريق فسوف نجد أن الهجرة قد احتلت مكانًا عظيمًا في دين الإسلام؛ لأن الهجرة تعني: أن يخرج الإنسان من مكة إلى المدينة، وهذه كانت هي الهجرة المقصودة في آيات القرآن، وبعد أن فتح الله على رسوله مكة قال : «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» والهجرة إنما احتلت المكانة الباسقة في الإسلام؛ لأن المهاجر ينضم بهجرته إلى جماعة المسلمين؛ ليكون معهم قوة تحمي الحق، وتذود عنه، وترفع راية هذا الدين؛ لكن أن يبقى أهل الإيمان كل مقيم في المكان الذي هو فيه، ويترك رسول الله  ومعه أصحابه الذين هاجروا، وعددهم قليل، وليس معهم ما يعينهم على جهاد الكافرين أو على صد عدوان المشركين؛ فلذلك ندب الله إلى الهجرة، وحث عليها وقال فيها ما قال؛ ولذلك سوف نرى آيات كثيرة من كتاب الله تجعل الهجرة من أفضل، ومن أعظم الأعمال، فيذكر ربنا مثلًا في سورة البقرة قوله -عز من قائل-: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} [البقرة: 218] وتقرأ في آل عمران قول الله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ} [آل عمران: 195]**

**وتلمح في هذه العبارة قول الله تعالى: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ}: تعني: أن هؤلاء قد أمضوا أعمارهم، وتصرمت أوقاتهم، وضاعت أيامهم إلى أن وصلوا إلى اللحظات الأخيرة حين جاءت الملائكة تقبض أرواحهم؛ لينقلوا إلى علام الغيوب ليحاسبهم، فقوله: {ﮂ} -أي: تتوفاهم الملائكة- تعني: أن الإنسان العاقل عليه أن ينتهز فرصة عمره وبقائه في هذه الدنيا؛ ليبادر إلى انتهاز الفرص للعمل الصالح، ومن أجلِّ ذلك -في هذا الوقت الذي كان- الخروج إلى دار الإسلام في المدينة المنورة، فهذا القول: {ﮂ} يعني هذا المعنى، {ﮄ ﮅ} فهؤلاء قد ظلموا أنفسهم؛ لأنهم أضاعوا أعمارهم، وتصرمت أوقاتهم، وكان بإمكانهم أن ينتصروا على ما هم فيه من ضعف، وما هم فيه من عجز، وما هم فيه من خنوع ومن خضوع؛ ليرحلوا عن ديار أهل الكفر إلى ديار أهل الإسلام، فمن فعل هذا، من لم يخرج، من بقي مقيمًا على ما هو عليه من الخنوع والخضوع -الواقع أن هذا ظلم نفسه ولم يظلم غيره؛ لأن الله ناصر نبيه لا محالة -قل العدد أم كثر- وهذا إذن شرف عظيم لمن خرج مهاجرًا إلى رسول الله  وانضم إلى قافلة المجاهدين، وكان من جملة هؤلاء الذين يرفعون لواء هذا الدين، فأي شرف يناله هذا المجاهد في سبيل الله؟! فكون المؤمن الذي أعلن إيمانه، وأظهر إسلامه يترك هذا، ويفرط فيه ويبقى مقيمًا في ديار الكفر هذا إنسان -في الحقيقة- ظلم نفسه ظلمًا عظيمًا؛ ولذلك توجه إلى هؤلاء المتقاعسين عن الهجرة هذا السؤال التوبيخي التأنيبي، أي: فيمَ كنتم من أمر دينكم؟ أو لم تركتم الجهاد؟ ولم رضيتم بالسكون والقعود والبقاء في ديار أهل الكفر، وتركتم الهجرة في سبيل الله؟.**

**لكن التعبير القرآني يقول على لسان الملائكة، وهم يؤنبون هؤلاء على ما فرطوا: {ﮇ ﮈ} يعني: لقد أنتم انغمستم انغماسًا شديدًا في حالكم، وانشغلتم بدنياكم ، وبقيتم فيما أنتم فيه من الاستضعاف والاستخذاء، والتقاعس وعدم القدرة على الخروج ظنًّا منكم أنكم غير قادرين على ذلك؟ ولذلك كانت الإجابة اعتذارًا عما كانوا فيه من قعود وعدم خروج: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} أي: كنا قد اعترانا الضعف الشديد، واستطاع أهل الكفر أن يمنعونا من الخروج لرسول الله  فلم نجد لنا وسيلة، ولم نجد لنا طريقًا، ولا حيلة لنهرب من ديار الكفر إلى ديار الإسلام: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} وانظر إلى قولهم: {ﮍ ﮎ} أيّ أرض؟ كأن الدنيا كلها قد ضاقت عليهم بما رحبتم؛ فلم يروا أرضًا في هذه الأرض إلا الأرض التي يقيمون فيها، فردت عليهم الملائكة قولهم: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ} فالأرض التي ظننتم أنه لا أرض سواها تلكم هي الأرض التي أنتم مقيمون فيها، أقمتم فيها، وبقيتم فيها، ولم ترحلوا عنها، وظننتموها أنها هي الأرض التي ليس هناك في الدنيا سواها، كان عليكم أن تعلموا، وأن تدركوا بأن الأرض أعظم وأكبر وأوسع من داركم هذه، وكان يمكن لكم أن تهاجروا في هذه الأرض، ولكنكم تقاعستم وقعدتم.**

**وقوله: {ﮖ ﮗ} في قوله: {ﮗ} معناه: أن هؤلاء سوف يتحركون في هذه الأرض في أي مكان شاءوا، ولكنهم لم يفعلوا؛ ومن هنا جاء هذا الإنذار، وجاء هذا الختام: {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ}.**

**{ﮙ} أي: الذين بعدوا في الضلالة.**

**{ﮚ ﮛ} المكان الذي يؤويهم ويضمهم ويجمعهم هو جهنم بكل ما في جهنم من ألوان العذاب؛ ولهذا جاء قوله: {ﮝ ﮞ} هذا المصير هو الذي صاروا إليه، وفي قوله: {ﮝ ﮞ} ما يرشدنا إلى أن الإنسان له بداية، وله نهاية، وله مصير يصير إليه، والمصير الذي يصير إليه لا بد أن ينظر إليه نظرة اعتبار، ونظرة تقدير، ونظرة من يريد أن يصل إلى هذا المكان في أمان وسلام، ولن يكون هذا إلا بالإيمان والعمل الصالح؛ لأن هذا المصير هو المصير إلى الآخرة، إما إلى جنة، وإما إلى نار.**

**ثالثًا: أصحاب الأعذار وعفو الله عنهم:**

**الله  بعد أن رهب وخوف من ترك الهجرة، ومن القعود عن اللحاق برسول الله  وأصحابه من الأنصار والمهاجرين -استثنى هؤلاء فقال: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} والاستضعاف: حالة تعتري بعض الناس حين لا يجدون وسيلة لرد الظلم عنهم، فلا مال، ولا جاه، ولا قوة؛ ومن هنا يتسلط عليهم الظلمة والمجرمون والمفسدون؛ لإيقاع الأضرار بهم، ولتعذيبهم، ولتكبيلهم، ولمنعهم من الخروج إلى هذا الطريق، فهؤلاء هم المستضعفون؛ ولذلك نرى أن عبد الله بن عباس > وهو من هو في مكانته ومنزلته -يقول: "كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان". وقال البخاري بسنده عن ابن عباس في قول الله تعالى: {ﮠ ﮡ} قال -أي: ابن عباس-: "كنت أنا وأمي ممن عذر الله ".**

**فإذن حالة الاستضعاف حالة يمكن أن تتكرر في أي زمان، وفي أي مكان، لكنه هنا أراد أن يذكر لنا حال هؤلاء الذين منعوا من اللحاق برسول الله  فهؤلاء هم المستضعفون، وهؤلاء المستضعفون يمكن أن يكونوا من الرجال، أو من النساء، أو من الأطفال، أو العبيد، والمسألة إذن لا تتعلق بصنف من الناس بعينة؛ إنما هي حالة عامة يدخل فيها الرجال والنساء، والأطفال والعبيد والإماء، وما إلى ذلك؛ ولهذا وجدنا رسول الله  يدعو لأقوام أن يخفف الله عنهم ما هم فيه، وأن ينجيهم، وأن يخلصهم من أيدي هؤلاء الكافرين، كما رُوي عن أبي هريرة >: «أن رسول الله  كان يدعو في دبر صلاة الظهر: اللهم خلص الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا».**

**وإذن فهذا عذر من الله  عذر به هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وبين السبب في هذا، وأن هؤلاء لم يستطيعوا الخروج؛ لأنهم لا يستطيعون حيلة، أي: لا يجدون وسيلة من الوسائل يستطيعون بها الإفلات من أيدي هؤلاء المشركين.**

**{ﮩ ﮪ ﮫ} أي: ولا يرون طريقًا يوصلهم إلى الخروج من هذا البلاء، وهذا الاستضعاف؛ فالمشركون قد نصبوا لهم في كل مكان أعينًا ترصد تحركاتهم، وتعد عليهم أنفاسهم؛ فهم لذلك لم يجدوا طريقة، ولا بابًا، ولا شيئًا، ولا وسيلة ولا حيلة يستطيعون من خلالها أن يفلتوا من أيدي هؤلاء المشركين، وأمثال هؤلاء يقول الله فيهم: {ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ} نلحظ في قوله: {ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ} اسم الإشارة قوله: {ﮭ} وكما كنا نذكر في اسم الإشارة في قوله: {ﮙ ﮚ ﮛ} وأن هذه الإشارة للبعيد تشير إلى بعد منزلة هؤلاء القاعدين عن الهجرة في أنها منزلة متدنية، ما كان ينبغي لهم أن يفعلوا هذا، وهنا {ﮭ} يعني: فأولئك الذين وصلوا إلى مرحلة خطيرة من الضعف لم يستطيعوا معها أن يحملوا أنفسهم على الخروج لله، وفي سبيله ومن أجله هجرة إلى رسول الله  فأولئك المستضعفون معذورون، الله  عسى أن يعفو عنهم. و{ﮮ} -كما يقولون- من جانب، ومن قِبل الله رجاء لا بد أن يتحقق {ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} أي: هو  سيعفو عنهم لا محالة كرمًا منه وفضلًا.**

**فإذن هذا الوعد من الله  بأن يعفو عن هؤلاء، هذا الوعد إنما هو من باب الكرم، ومن باب الفضل، لكنه في الوقت نفسه فيه تخويف لهؤلاء الذين يقال بأنهم من المستضعفين؛ فهذا الاستضعاف أمر قياسه عند المستضعف، هو الذي يقول لنا بأنه مستضعف وغير قادر، حاول فلم ينجح ولم يفلح، فهذا الذي يقول هذا القول مرد ذلك إلى ربه  وهذا في عفو الله ومغفرته؛ ولهذا جاء قوله: {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ} وترغيبًا في الخروج للحاق برسول الله  والهجرة إليه.**

**قال تعالى: {ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ}:**

**{ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} نلمح من خلال هذا التعبير أن الهجرة لا بد أن تكون لله، وفي سبيله، فإن كانت في غير سبيل الله فلا قيمة لها؛ ولذلك رأينا في الحديث الشريف قول رسول الله : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» فالله  يقول: {ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} سيكون من أمره كما قال تعالى: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ}.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**